الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
ISSN 1813-7733
المجلد الرابع. ديسمبر 2007م (ص121-144)

موقف المستشرقين من جمع القرآن الكريم وكتابته

محمد رشيد زاهدPT*

لقد قام المستشرقون بدراسة الإسلام من كل ناحية ولم يتركوا مجالا من مجالته إلا كتبوا وألفوا فيه. والقرآن الكريم ـ المصدر الأول للتشريع الإسلامي ـ هو من أهم ما درسوا به وكان القرآن الكريم أهم هدف يتواصى المستشرقون بالتصويب إليه والطعن واللغو فيه ، وتناولوا من جميع جوانبه: مصدره ونزوله ، وجمعه وتدوينه وقراءته وتفسيره وأسلوبه وناسخه ومنسوخه إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن وعلومه.

ففي هذا البحث الوجيز أود أن أحلل موقف المستشرقين وشبهاتهم حول جمع القرآن الكريم وتدوينه وكتابته ثم أقوم بمناقشة آرائهم مناقشة علمية هادئة ودحضها بأدلة دامغة مقنعة، وقبل أن أخوض في الموضوع مباشرة أوثر أن أعطي فكرة موجزة عن معنى جمع القرآن الكريم، وكيف تم جمعه وتدوينه وكتابته في نظر تاريخ الإسلام وعلمائه كي يتضح الموضوع أما القراء والدارسين.

معنى جمع القرآن:

لجمع القرآن الكريم معنيان وردت النصوص بكليهما الأول : جمعه بمعنى حفظه في الصدور واستظهاره. والثاني: جمعه بمعنى كتابته وتدوينه كله حروفا وكلمات وآيات وسورا. (1) ولكل نوع من النوعين تاريخ وخصائص ومزايا، فنتناول كل نوع على حدة. النوع الأول جمعه بمعنى حفظه في الصدور واستظهاره: ويشهد لهذا النوع قوله تعالى : "لاتحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه، فإذاقرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه" (2) فالمراد بالجمع هنا الحفظ في الصدور، ويفسر هذا حديث إبن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة. كان يحرك شفتيه .... فأنزل الله تعالى: "لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنهP"[P] قال جمعه في صدرك ثم تقرأه. "فإذا قرأناه فاتبع قرآنه" قال فاستمع وأنصت . ثم إن علينا أن تقرأه، قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم كما أقرأه (3) وكان عليه السلام سيد الحفاظ وأول الجماع، وإدراكا منه للأمانة الكبرى التي كلف بها،

---

* أستاذ مساعد: قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ.

وهي أن يبلغ الناس القرآن ''وأوحي إلى هذا القرآن لأنذر كم به ومن بلغ,, (4) وإدراكا منه عليه السلام أن تبليغ القرآن يجب أن يكون كما سمعه بلا زيادة ونقصان، لذا كان يشعر بحرج شديد وخوف عظيم، أن ينسي شيئا من القرآن مما جعله يحرك لسانه بالقرآن لحظة نزول الوحي. كما شرحنا ذلك.

وقد حفظ الرسول صلى الله عليه وسلم القرآن كله وحفظه أصحابه وكان جبريل يعارضه إياه في كل عام مرة في شهر رمضان وعرضه إياه في العام الذي توفي فيه مرتين كما في حديث عائشة ـ رضي الله عنهاـ عن رسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وأنه عرضني العام مرتين، ولاأراه إلا حضر أجلي" (5) وكان صلى الله عليه وسلم يقوم بالقرآن ويتلوه آناء الليل وأطراف النهار حتى كادت أن تشقق قدماه،،

اشتد التنافس بين الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في حفظ القرآن الكريم وتلاوته وتدبره وتسابقوا إلى مدارسته وتفسيره والعمل به وكانوا لايتجاوزون عشر أيات حتي يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، وكانوا يهجرون لذيذ المنام ودفء الفراش، ويؤثرون قيام الليل والتهجد بالقرآن حتى كان يسمع لبيوتهم دوي كدوي النحل لتلاوتهم القرآن ولم يترك الرسول صلى الله عليه وسلم أمرا فيه حث على حفظ القرآن إلا وسلكه وأمربه ، فكان يفاضل بين أصحابه بحفظ القرآن ويعقد الرأية لأكثره حفظا للقرآن ، وإذا بعث بعثا جعل إمامهم في صلاتهم أكثرهم قراءة للقرآن، ويقدم للحد في القبر أكثرهم أخذا للقرآن، ويزوج الرجل المرأة ومهرها مع الرجل من القرآن فضلا عن الأحاديث الكثيرة الداعية لحفظ القرآن وتعلمه وتعليمه.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثهم على ذلك و يحرص على سماع تلاوتهم فقد قال لأبي موسى الأشعري – رضي الله عنه ـ ''لو رأيتنى وأنا استمع لقرأتك البارحة لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود،، (6) واستمع لتلاوة سالم مولى أبى حذيفة (رض) فقال له : '' الحمد لله الذي جعل في أمتى مثلك،، (7) وقال لابن مسعود ا قرأ علي القرآن فقال ابن مسعود: يارسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري ، فقرأ عليه سورة النساء حتى إذا بلغ قوله تعالي : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيدا،، (8) قال : حسبك الآن، قال ابن مسعود، فالتفت فإذا عيناه تذرفان،، (9) وقال صلى الله عليه وسلم: '' إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار. (10)

والأخبار كثيرة تشهد على عناية الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بالقرآن الكريم وتلاوته وحفظه، وعلى حث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ لأصحابه على ذلك. فلا عجب أن يكثر عدد حفاظ القرآن من الصحابة إذ حفظه في حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجم الغفير من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ '' فقد قتل منهم ـ كما قال القرطبي ـ يوم بئر معونة سبعون وقتل في عهد رسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مثل هذا العدد'' (11)

مزايا جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور:

1- إن جمع القرآن بمعنى حفظه هو أول علم نشأ من علوم القرآن الكريم وذلك أنه حين نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم في غار حراء وجرى ما جرى تلا ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما نزل عليه من القرآن على خديجة وذلك من حفظه فهو أول علم نشأ من علوم القرآن .

2- إنه دائم لا ينقطع إن شاء الله تعالى ,فقد حفظ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم – القرآن وحفظه أصحابه والتابعون ومن بعدهم , وما زال المسلمون يحفظونه إلى أن يأذن الله برفعه بخلاف جمعه بمعنى كتابته فقد مر بثلاث مراحل آخرها في عهد عثمان ـ رضي الله عنه.

3- إن الحفظ في الصدور خاص بالقرآن، وليس هناك كتاب يحفظه أهله غير القرآن .

4- إنه يجب على كل مسلم أن يحفظ من القرآن ما يؤدي به الصلوات بخلاف جمعه بمعنى كتابته وتدوينه فلا يجب على كل مسلم (12)

النوع الثاني : جمعه بمعنى كتابته وتدوينه وجمع القرآن بهدا المعنى ثلاث مرات : الجمع الأول : في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. والجمع الثاني: في عهد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ الجمع الثالث : في عهد عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ فالمراد بجمع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم : كتابته وتدوينه . والمراد بجمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه: جمعه في مصحف واحد. والمراد بجمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه : نسخه في مصاحف متعددة (13)

وبهذا يظهر أن الجمع بمعناه الحقيقي كان في عهد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وسنعطي فكرة موجزة عن كل مرحلة من مر احل هذا الجمع:

أولا : جمع القرآن بمعنى كتابته وتدوينه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم عددا من الصحابة كان إذا نزل عليه

شيء من القرآن أمر أحدهم بكتابته وتدوينه ويعرف هؤلاء الصحابة بـ ''كتاب الوحي'' ومنهم الخلفاء الأربعة ، وزيد بن ثابت وأبى بن كعب ، ومعاوية بن أبي سفيان .....(14)

وصف هذا الجمع صحابيان جليلان فقال زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ '' كنا عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نؤلف القرآن من الرقاع'' (15) أي نجمعه لترتيب آياته من الرقاع . وروى عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه الشيء يدعو بعض من كان يكتبه فيقول : ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا'' (16) لم تكن أدوات الكتابة ميسرة للصحابة في ذلك الوقت فكانوا يكتبونه على كل ماتناله أيديهم من العسب، اللخاف، والرقاع، والكرانيف والأقتاب والأكتاف، وكان كتاب الوحي ـ رضي الله عنهم ـ يضعون كل ما يكتبون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وينسخون لأنفسهم منه نسخة (17)

مميزات جمع القرآن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم :

1- كتابة القرآن كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على الأحرف السبعة بما ثبت في الحديث عن عمر بن الخطاب وفيه قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فأقرأوا ما تيسر منه" (18)

2- أجمع العلماء على أن جمع القرآن في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان مرتب الآيات ، أما ترتيب السور ففيه خلاف.

3- بعض ما كتب في عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ نسخت تلاوته وظل مكتوبا حتى توفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفي الحديث عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت : " كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن" ثم نسخن "بخمس معلومات" فتوفي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهن فيما يقرأ من القرآن" (19)

4- لم يكن القرآن الكريم في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مجموعا في مصحف واحد بل كان مفرقا في الرقاع والأكتاف واللخاف وغيرها، ولهذا قال زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ : "قبض النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يكن القرآن جمع في شيء" (20) وقال أيضا لما أمر بجمع القرآن في عهد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ : "فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال. (21) وإذا تسأل لماذا لم يجمع القرآن في عهد

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مصحف واحد؟ وقد أجاب العلماء ــ رحمهم الله تعالى ــ على ذلك وذكروا أسبابا منها:

1- إن الله تعالى قد أمن نبيه ـ عليه السلام ــ من النسيان بقوله سبحانه وتعالى : "سنقرئك فلاتنسى إلا ما شاء الله" (22) أي ما شاء أن ترفع حكمه بالنسخ فلا خوف إذن أن يذهب شيء من القرآن الكريم وأما بعد وفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن النسيان قد يقع فبادر المسلمون إلى جمعه في مصحف واحد . (23)

2- قال الخطابى : "وإنما لم يجمع ـ صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه، أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة. (24) وقال الزركشي : "وإنما ترك جمعه في مصحف واحد؛لأن النسخ كان يرد على بعض فلو جمعه ثم رفعت تلاوة بعض لأدى إلى الاختلاف واختلاط الدين، فحفظ الله في القلوب إلى انقضاء زمان النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين". (25)

3- إن القرآن الكريم لم ينزل جملة واحدة ، بل نزل منجما في ثلاث وعشرين سنة.

4- أن تربيب آيات القرآن وسوره ليس على حسب ترتيب نزوله ولو جمع القرآن في مصحف واحد حينذاك لكان عرضة للتغير كلما نزل شيء من القرآن (26)

ثانيا : جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ:

بعد وفاة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ارتدت بعض قبائل العرب فأرسل أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ خليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الجيوش لقتال المرتدين وكان قوام هذه الجيوش هم الصحابة ـ رضوان الله عليهم ــ وفيهم حفاظ القرآن وكانت حروب الردة شديدة قتل فيها من القراء الذين يحفظون القرآن الكريم ، فخشي بعض الصحابة أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته ، فأراد أن يجمع القرآن في مصحف واحد بمحضرمن الصحابة ، وقصة ذلك رواها البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت ــ رضي الله عنه ــ أنه قال أرسل إليّ أبو بكر ــ مقتل أهل اليمامة ــ فإذا عمر بن الخطاب عنده قال ابو بكر ــ رضي الله عنه ــ : إن عمر أتاني ـ فقال : إن القتل قد استحريوم اليمامة بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القراء، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قلت لعمر : كيف تفعل شيئا

لم يفعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ؟ قال عمر : هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك. ورأيت في ذلك الذي رأى عمر، قال زيد : قال أبوبكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت : كيف تفعلون شيئا مالم يفعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم؟ قال : هو والله خير، فلم يزل أبوبكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدرأبي بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت أخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره "لقد جاء كم رسول من أنفسكم عزيزعليه ما عنتم" حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر ـ رضي الله عنهم ـ" (27) وتاريخ هذا الجمع كما جاء في الحديث بعد معركة اليمامة في السنة الثانية عشرة من الهجرة.

أسباب اختيار زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ لهذا الجمع :

ا- إن زيد بن ثابت كان من حفاظ القرآن الكريم، وأنه شهد العرضة الأخيرة للقرآن، وقد روى البغوي عن أبى عبد الرحمن السلمي أنه قال: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين إلى أن قال عن زيد بن ثابت أنه "شهد العرضة الأخيرة، وكان يقريء الناس بها حتى مات؛ ولذلك اعتمده أبوبكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتبة المصاحف ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ" (28)

ب- أنه كان من كتاب الوحي للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ

ج ـ كان له خصوبة العقل ، وشدة الورع ، وكمال الخلق واستقامة الدين وعظم الأمانة ويشهد لذلك قول أبي بكر رضي الله عنه له : ''إنك رجل شاب عاقل، لانتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقوله نفسه رضي الله عنه: "فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن".(29) .

منهج زيد في هذا الجمع:

إن منهج زيد في جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يقوم على أسس أربعة: الأول : ما كتب بين يدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم، الثاني : ما كان محفوظا في صدور الرجال. الثالث : ألا يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان على أنه كتب بين يدي الرسول ـ صلى الله عليه

وسلم ـ قال السخاوي معناه: من جاء كم بشاهدين على شيء من كتاب الله الذي كتب بين يدي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم. (30)، الرابع : ألا يقبل من صدور الرجال إلا ما تلقوه من فم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ، فإن عمر ـ رضي الله عنه ـ ينادي "من كان تلقي من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شيئا من القرآن فليأتنا به'' ولم يقل من حفظ شيئا من القرآن فليأتنا به.

مميزات جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ :

1- جمع القرآن الكريم في هذا العهد على أدق وجوه البحث والتحري والإتقان كما أشرنا إليه.

2- أهمل في هذا الجمع ما نسخت تلاوته من الآيات.

3- أن هذا الجمع كان بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن كما كان في الرقاع التي كتبت في عهد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ.

4- أن هذا الجمع كان مرتب الآيات باتفاق، واختلف العلماء في السور، هل كانت مرتبة في هذا الجمع أم أن ترتيبها كان في عهد عثمان ـ رضي الله عنه.

5- اتفق العلماء على أنه كتب نسخة واحدة من القرآن في هذا الجمع حفظها أبو بكر الصديق؛ لأنه إمام المسلمين .

6- ظفر هذا الجمع باتفاق الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ. وبإجماع الأمة عليه، وتواتر مافيه، حتى قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ "أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر فإنه أول من جمع ما بين اللوحين". (31)

ثالثا: جمع القرآن بمعنى نسخه في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ.

سبب هذا الجمع:

عند ما اتسعت الفتوحات الإسلامية انتشر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في البلاد المفتوحة يعلمون أهلها القرآن، وأمورالدين و كان كل صحابي يعلم بالحرف الذي تلقاه من الأحرف السبعة، فكان أهل الشام يقرأون بقراءة أبي بن كعب ـ رضي الله عنه ـ فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرأون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام، فيكفر بعضهم بعضا.(32)

وقد روى البخاري في صحيحه قصة ذلك الجمع في حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: "إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح "أرمينية" و"آذربيجان" مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القرأءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق" (33) وكان ذلك في أواخر سنة 24 وأوائل سنة 25 كما قال ابن حجر العسقلاني ـ رحمه الله تعالى – (24)

وينبئنا هذا النص الصحيح بخمسة أمور على جانب عظيم من الأهمية:

أولا : إن اختلاف المسلمين في قرأءة القرآن كان الباعث الأساسي على أمر عثمان باستنساخ صحف خفصة وجمعها في مصاحف.

ثانيا : إن اللجنة التي كلفت بهذا العمل كانت رباعية، وهؤلاء الأربعة جميعا من ثقات الصحابة وأفاضلهم.

ثالثا : إن اللجنة الرباعية باتخاذها صحف حفصة أساسا لنسخ المصاحف إنما استندت إلى أصل أبي بكر.

رابعا : إن القرآن نزل بلغة قريش، فهي اللغة المفضلة لكتابة النص القرآني عند حدوث الخلافة بين القرشيين الثلاثة وزيد.

خامسا: إن عثمان أرسل إلى الآفاق الإسلامية بمصحف مما نسخه هؤلاء الأربعة، ورأي حسما للنزاع أن يحرق ما عدا ذلك من الصحف والمصاحف الخاصة: (35) ويبدو أن حذيفة بن اليمان لم يكن وحده فزعا من اختلاف المسلمين في القراءة، فقد كثر الخلاف وساور القلق أنفس الصحابة الكرام، وبلغ ذلك عثمان ففزع بدوره ورأى أن يتدارك الأمر قبل استفحاله، وقد أشار إلى ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره في الخبر الذي أخرجه من طريق أيوب عن أبي قلابة، أنه قال: "لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم

بقراءة الرجل، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، ، حتى كفر بعضهم بقراءة بعض، فبلغ عثمان فخطب فقال: "أنتم عندي تختلفون فيه وتلحنون، فمن نأي عني من أهل الأمصار أشد فيه اختلافا وأشد لحنا اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما".(36)

مزايا جمع القرآن في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ :
تميز هذا الجمع بمزايا عديدة منها :

1- الاقتصار على حرف واحد من الأحرف السبعة قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : "جمع عثمان ـ رضي الله عنه ـ الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم لرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ القراءة بها لما كان ذلك مصلحة". (37)

2 ـ إهمال ما نسخت تلاوته .

3- الاقتصار على ما ثبت في العرضة الأخيرة وإهمال ما عداه .

4- الاقتصار على القراءات الثابتة المعروفة عن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإلغاء ما لم يثبت.

5- كان مرتب الآيات والسور على الوجه المعروف الآن. (38)

الفرق بين جمع أبي بكر الصديق وجمع عثمان ـ رضي الله عنهما ـ:

1- إن الباعث لجمع القرآن في عهد أبي بكر ـ رضي الله عنه : خشية أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حفظته، وذلك حين استحر القتل بالقراء في حروب الردة. أما جمعه في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ لكثرة الاختلاف في وجوه القراءة.

2- أن جمع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ على الأحرف السبعة، أما جمعه في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ فقد كان على حرف واحد.

3- أن جمع أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ كان مرتب الآيات، وفي ترتيب السور خلاف. أما جمع عثمان فقد كان مرتب الآيات والسور باتفاق.

4- أن الجمع في عهد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ بمعنى الكتابة والتدوين وأما الجمع في عهد عثمان ـ رضي الله عنه ـ فبمعنى نسخه في مصاحف متعددة. (39)

عدد المصاحف التي أمر عثمان ـ رضي الله عنه ـ بنسخها:

اختلف العلماء في عدد النسخ التي أعدها عثمان ـ رضي الله عنه ـ قيل إنها أربع نسخ، قيل إنها خمس نسخ، قال السيوطي: المشهور أنها خمسة (40) قيل إنها سبع نسخ، فقد روى ابن ابي داود عن أبي حاتم السجستاني قال: "لما كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب عثمان المصاحف حين جمع القرآن كتب سبعة مصاحف، فبعث واحدا إلى مكة، وآخر إلى الشام، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البخرين، وآخر إلى البصرة، وآخر إلى الكوفة، وحبس بالمدينة واحدا".(41)

موقف الصحابة من هذا الجمع:

وبعد أن أنفذ عثمان المصاحف أمر بما سوى مصحفه أن يحرق "وبعث إلى أهل الأمصارإني قد صنعت كذا وكذا ومحوت ما عندي فامحوا ما عندكم" (42) قد رضي الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ما صنع عثمان ، وأجمعوا على سلامته وصحته، قال زيد بن ثابت: "فرأيت أصحاب محمد يقولون : أحسن والله عثمان" (43) وروى ابن أبي داود عن مصعب بن سعد قال: "أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك وقال: لم ينكر ذلك منه أحد". (44) وروى سويد بن غفلة قال:"قال علي ـ رضي الله عنه ـ : لا تقولوا في عثمان إلا خيرا، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأمنا". (45) وعند ابن أبي داود قال: على في المصاحف: "لو لم يصنعه عثمان لصنعته". (46) ولم ينقل عن أحد من الصحابة خلاف أو معارضة لما فعل عثمان ـ رضي الله عنه ـ إلا ما روى من معارضة عبد الله بن مسعود، وينبغي أن نعلم أن معارضته ـ رضي الله عنه ـ لم تكن بسبب حصول تقصير في الجمع أو نقص وزيادة وإنما جاءت معارضته لعدم تعيينه مع أعضاء لجنة النسخ للمصاحف؛ ولهذا يقول: "أعزل عن نسخ المصاحف وتولاها رجل، والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر".(47) قد عارض ابن مسعود في ذلك في بادي الأمر، وأبى أن يحرق مصحفه الخاص، ثم ألهمه الله أن يرجع إلى رأي عثمان الذي كان في الحقيقة رأي الأمة كلها. (48) وهى حينئذ تنشد وحدة الكلمة والقضاء على أسباب النزاع.

شبهات المستشرقين حول جمع القرآن الكريم وكتابته:

وقد تكلم في هذا الموضوع عدد من المستشرقين على رأسهم: المستشرق الفرنسي ريجي بلا شير، جولد زيهر ، وكازانوفا ، ونولدكه، وموريروغيرهم.

تعرض المستشرق "ريجي بلاشير" (Blachere) إلى دراسة القرآن في العديد من الكتب كما قام بترجمته إلى اللغة الفرنسية. وقام بدراسات تناولت القرآن وكيفية جمعه وترتيبه، فأشار إلى المراحل المختلفة التي مرت بها كتابة القرآن.

المرحلة الأولى منها :
مرحلة حفظ القرآن في صدور المسلمين، والتي استمرت حسب قوله عشرين سنة. ونفى "بلاشير" أن يكون هناك قرآن مكتوب بمكة قبل هجرة الرسول إلى المدينة مع تشديد على معرفة العرب لكتب المقدسة الأخرى المكتوبة كالتوراة التي كان يستخدمها اليهود والمسيحيون بالمدينة, والأناجيل المسيحية التي يستخدمها أهل نجران، والحبشة نظرا للعلاقات التجارية التي كانت تربطهم بتلك الأصقاع. ويرى "بلاشير" أن بدء كتابة القرآن قد أصبحت ضرورة بعد هجرة الرسول إلى المدينة فدون على العسب واللخاف والرقاع وعظام الأكتاف والأضلاع وقد وافق الرسول على هذه الخطوة دون أن يفرضها على المسلمين. ويرى أن جمع القرآن وتدوينه بهذه الطريقة قد خلق العديد من المشاكل؛ لأن التدوين لم يكن صحيحا تماما، فسقطت آيات كثيرة منه، يضاف إلى ذلك أن أدوات الكتابة وما كان مكتوبا عليها قد تم بدون ضبط أو نظام بل وقد ضاع بعض منها. (49)

أما المرحلة الثانية لتدوين القرآن فقد بدأت بعد وفاة الرسول في عهد الخليفة أبي بكر، وقد جمع القرآن من صدور الحفاظ ومن الأدوات التي كتب عليها إلا أن هذا الجمع لم يتعد المبادرة الشخصية للخليفة، كما لم يتجاوز جمع ما كان في صدور الحفاظ فقط. بهذا لم يكن لهذا الجمع ذلك التأثير الحقيقي طالما كان في حدود ما قام به بعض الصحابة من جمع القرآن بناء على مبادرتهم الشخصية، ويعني ذلك أن جمع القرآن وتدوينه لم يتم بطريقة عليمة صحيحة؛ ومن هنا كان يتميز بالنقصان والزيادة والاختلاف في بعض الآيات. ثم يستطرد قائلا: إن الخطوة الحاسمة التي اتخذت في هذا الصدد كان مرجعها إلى قيام الخليفة الثالثة ـ عثمان ـ بجمع القرآن بطريقة منظمة وعلمية وأكثر شمولا واتساعا. إلا أنه نظرا لغياب أدوات النقط والرسم فإنه لا يزال اختلاف في قراءته. وبالرغم من اختراع طريقة الأحرف السبعة، والقراءات السبع لوحدة النص القرآني، فإن هذه الطريقة أضافت وخلقت خلافات جديدة بين المسلمين، إن مشكلة وحدة النص القرآني زادت تعقيدا بعد اغتيال الخلفية الرابع ـ علي بن أبي طالب ـ حيث قامت شيعته بالادعاء بأن الخليفة أبا بكر ثم عمر حرفا القرآن. وأسقطا كثيرا من آياته وسوره، وحذفوا جميع الآيات التي تعين الإمام علي بصراحة إماما وخليفة للمسلمين. (50)

وأخيرا يذهب "بلاشير" إلى القول: بأن المرحلة النهائية لتدوين النص القرآني حصلت إبان العهد الأموي وذلك عندما نقلت عاصمة المسلمين إلى دمشق، ولعب العراق دورا كبيرا في الحياة الروحية والثقافة للأمة الإسلامية فاقتضى الأمر اتخاذ التدابير اللازمة نحو النص القرآني خاصة فيما يتعلق برسم القرآن ونقطه، فقام الخليفة عبد الملك بن مروان بهذا الدور بناء على اقتراح واليه القوي بالعراق ـ الحجاج بن يوسف ـ وقد اقتضى الامر أيضا بعد ضبط القرآن إلغاء بعض الآيات التي تمجد عليا، وأهل البيت لإسباب سياسية لا مجال لإنكارها. (51)

وذهب المستشرق الفرنسي "كازانوفا" (Casanova) في كتابه "محمد ونهاية العالم" إلى تفسير عدم استخلاف النبي لأحد أصحاب لتولي أمر المسلمين هو اعتقاده أن نهاية العالم قريبة، وهي عقيدة مسيحية محضة، ويقول في موضع آخر: "إن القرآن قد أدخلت عليه بعد وفاة النبي تغيرات قام بها خلفاؤه، ليفصلوا ما يمكن لهم فصله بين بعثة الرسول وقيام الساعة اللتين يرى ارتباطهما مباشرا. والدليل على ذلك ما ورد في الآية: "وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أن نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب" (52) فزعم "كازانوفا" أن أصحاب النبي حين رأو أن الساعة لم تقم وضعوا في صيغة التعبير صورة الشك موضع اليقين. ولا يستبعد أن الآية قبل التبديل هي كالآتي: "وسنريك بعض الذي نعدهم" ويتساءل "كازانوفا" هل يعقل أن الإله ـ وهو سيد الأقدار لم يستطع أن يحدد مسئلة بسيطة، وأنه يجهل هل النبي سيموت، أو سيعيش إلى نهاية العالم في حين أنه علم بالساعة علم اليقين، ولكنه لم يشأ ينبيء الناس بهذا العلم؟! (53) ويستطرد "كازانوفا" في كتابه المذكور قائلا: "هناك آيتان يشك في صحة نسبتهما إلى الوحي النبوي، والراجع أن يكون أبو بكر هو الذي أضافهما على إثر موت النبي، فأقره المسلمون على ذلك وهما قول القرآن: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل" (54) وقوله : "إنك ميت وإنهم ميتون، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون" (55)

وذهب "نولدكه" (Noldeke) وموير (William Muir) من الشك في ترتيب القرآن على النحو الذي وصل إلينا ومحاولتهما ترتيب الآيات ترتيبا موضوعيا أو أسلوبيا، فصنفا القرآن إلى مراتب ثلاث: المرتبة الأولى تعلق بترتيب الآيات طبقا للأسلوب الذي نزل به ونتج عن هذا الترتيب التفرقة بين الأيات المكية والمدنية، والاستدلال عليها بالأسلوب الذي تتميزبه كل فترة على حدة.

والمرتبة الثانية تتناول الظروف السياسية والاجتماعية التي حاول محمد بحثها من خلال هذه الآيات، والمرتبة الثالثة تتناول الآيات المتعلقة بالأحكام

والعبادات، وهذا الترتيب نتج عنه غموض وإبهام في كثير من المواضيع وتساؤلال حول نقاط هامة قابلة للنقاش. (56)

ومن شبهات المستشرقين أيضا: أنه قد حصل في القرآن زيادة ونقصان إبان جمعه، والدليل على ذلك انكار ابن مسعود لسورتي-المعوذتين والفاتحة- من القرآن الكريم، وأن في القرآن ما هو من كلام أبي بكر وعمر و غصبه الشديد (أي ابن مسعود) لعدم مشاركته في اللجنة الرباعية التي اختارها عثمان لجمع المصحف، وبتولية رجل رئيس لها عندما كان في صلب أبيه الكافر، كان ابن مسعود مسلما. ومنها إنكار نقل القرآن بالتواتر والدليل على ذلك عند تتبع زيد للقرآن لم يجد آية "من المؤمنين رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه" إلا عند خزيمة بن ثابت الأنصاري، فلو كان القرآن متواترا لوجد هذه الآية عند الآخرين أيضا ..... (57)

الردود العلمية على شبهات المستشرقين:

وقد تحدثنا عن أهم الشبهات والمطاعن التي أوردها المستشرقون وبعض معارضي القرآن الكريم حول جمعه وترتيبه وكتابته. الآن سنحاول الرد عليها طبقا للمنهج العلمي بالأدلة المعقولة والمناقشة العلمية الهادئة.

أولا : الرد على شبهات "بلاشير"

إن ماذهب إليه "بلاشير" من تاكيد عدم كتابة الوحي قبل الهجرة إلى المدينة قول لايسنده دليل علمي، ذلك أن كتاب الوحي بدأوا في مهامهم قبل الهجرة، ولم ينقل القرآن إلينا في تلك الفترة شفاها فقط، وجميع المصادر التي أرخت لتلك تشهد بوجود أناس بمكة يعرفون القراءة والكتابة. بل إن أهل البوادي في العصر الجاهلي كانوا يعرفون القراءة والكتابة بدليل وجود نصوص مبعثرة في أماكن بعيدة عن الحضارة تدل على معرفة أهل البادية بالقراءة والكتابة. أما أهل الحضر فكان العديد منهم يكتبون ويقرأون. خاصة الحنفاء الذين قرؤوا الكتب المقدسة الأخرى وبلغات عبرية وأجنبية (كما اعترف بها "بلاشير" نفسه) كما هو الحال مع ورقة بن نوفل. وعندما ظهر الإسلام بمكة كان بها قوم يعرفون القراءة والكتابة، بل واطلعوا على كتب اليهود والنصارى وكتب فارس أيضا، وواقعة فداء أسرى بدر لمن يعلم صبيان المسلمين في المدينة القراءة والكتابة معروفة ومشهورة، ويؤكد المورخون أنه لما نزل الوحي على الرسول في مكة كان في قريش سبعة عشر رجلا كلهم يكتب، سموا منهم من المسلمين عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وأبا عبيدة بن الجراح، وطلحة. (58) كما تواترت الأخبار عن كتابة عبد الله بن سعد بن أبي سرح للرسول وهو في مكة، وأنه كان يكتب للنبي، وكان فيما يملي عزيز حكيم، فيكتب عبد الله غفور رحيم، فيغيره، فرجع عن الإسلام، ولحق

بالمشركين ووشى بعمار وجبير عند ابن الحضرمي أو لبني عبد الدار فأخذوهم وعذبوا.(59)

والدليل على كتابة عبد الله الوحي للنبي بمكة هو نزول الآية:"ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إليّ ولم يوح إله شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله" (60) وهى آية مكية ضمن سورة الأنعام. فيكون عبد الله قد كتب للنبي عندما كان بمكة وقبل الهجرة، ومن هذه الوقعة نستدل على كتابة القرآن وتدوينه قبل الهجرة إلى المدينة، ويحتمل أن يكون هناك كتاب آخرون للوحي قبل الهجرة عدا عبد الله بن سعد بن أبي سرح، ولا نستبعد الصحابة المؤمنين الذين أتينا على ذكرهم. والدليل الآخر الذي نسوقه في هذا الصدد هو أن أي بن كعب هو أول من كتب له الوحي بالمدينة، وواقعة عبد الله بن سعد سابقة لكتابة أبي فيكون هناك كتاب آخرون للوحي بمكة.

أما قول "بلاشير": "بأن تدوين القرآن بعد الهجرة قد خلق العديد من المشاكل؛ لأن التدوين لم يكن صحيحا فسقطت آيات كثيرة..." فهو قول مردود من أساسه؛ لأنه لم يأت بأدلة سائغة تبرهن على صحة اعترضاته، يضاف إلى ذلك أننا قد أوردنا كيفية تدوين القرآن وترتيبه وكتابته، فقد كان الرسول يأمر كتاب الوحي بوضع الآيات في مكانها الصحيح، وكان يقرئها أصحابه ويحفظها لهم حتى أصبح حفظ القرآن ترتيبه متواترا لديهم. وأنه عند ما قام الصحابة بجمع القرآن لم يجدوا شيئا ضائعا منه، بل إن المطابقات والمقابلات التي أجروها بين النصوص المحفوظة في الصدور، وتلك المدونة في أدوات الكتابة وجدت صحيحة، ولا ينقص هذا الحكم مقولة من استدل بفقدان آية من سورة براءة ولم توجد إلا عن خزيمة بن ثابت، ومنها قولهم بضياع آيات آخر مماثلة لهذه الآية، والدليل على ذلك أن جميع الآيات الأخرى وجدت إما محفوظة في الصدور، أو مكتوبة في الرقاع، ولولا تتبعهم الدقيق وبحثهم الدؤوب لما وجدو هذه الآية المفقودة عند خزيمة بن ثابت، هذا دليل أكيد أنه لم يفقد من القرآن ولو آية. (61)

أما قول "بلاشير" إن مشكلة وحدة النص القرآني زادت تعقيدا بعد اغتيال الخليفة الرابع ــ على بن أبي طالب ــ حيث ادعت شيعته بأن جمع القرآن أسقط منه الآيات التي تنص على توليته الخلافة دون سواه. فهو قول لا يسنده دليل علمي أو عقلي ثم أن بعض كبار مفسري القرآن من الشيعة كـ"الطبرسي" يرفض هذا الادعاء جملة وتفصيلا، ويقول في هذا الصدد: " أما الزيادة في القرآن فجمع على بطلانها، واما النقصان فهو أشد استحالة، ثم قال: إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت

على نقله، وحراسته وبلغت إلى حد لم يبلغه شيء فيما ذكرناه؛ لأن القرآن مفخرة النبوة ومآخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه، وقراءته، وحروفه، وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد. (62) ثم إن الإمام علي قد أشاد بالخليفتين ـ أبي بكر وعثمان ـ (كما بينا ذلك في السابق) لجمعهما القرآن في مصحف واحد وثنائه عليهما، واسترحامه لهما، والدفاع عنهما ضد من اتهمهما بحرق القرآن، ولو كان في ذلك الجمع زيادة أو نقصان لأشار إليها ندد بها ولتفاداها عندما أصبح خليفة للمسلمين ولما أشاد بهما على عملهما ذاك.

والرد على الشبهة الأخيرة من قول "بلاشير" هو تحريف القرآن وإلغاء بعض آياته التي تمجد عليا وشيعته في عهد عبد الملك بن مروان بإشارة من واليه ــ الحجاج بن يوسف ــ فهو أيضا قول باطل من أساسه؛ لأن التاريخ الذي تتبع الحجاج وولايته تتبعا دقيقا، وأضاف ونسب إليه العديد من الأقوال والأفعال غير الصحيحة، لم يدون عليه أنه كتب ستة مصاحف جديدة، وزاد فيها وأنقص طبقا للأهواء السياسية ثم عمد إلى الصحف المدونة فأعدمها. وكل ما رواه لنا التاريخ أن الخليفة الأموي رأي اتساع رقعة الإسلام وأختلاط العرب بالعجم وتفشي اللحن وبدأ اللبس والإشكال في قراءة القرآن يلح بالناس حتى يشق على الغالبية منهم أن يهتدوا إلى التمييز بين حروف المصحف وكلماته، وهو غير معجمة، هناك أمر الحجاج هذا الأمر الخطير، فندب الحجاج نصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن عمر العدواني، فأعجما المصحف، ونقطا جميع حروفه المتشابهة، والتزما الا تزيد النقط في أيّ حرف على ثلاث حتى شاع ذلك بين الناس وحتى زال الإشكال واللبس عن المصحف الشريف. (63)

ثانيا الرد على شبهات "كازانوفا"

أما ماذهب إليه ''كازانوفا'' من قيام الصحابة بإدخال تغييرات على القرآن بعد وفاة الرسول ليفصلوا ما يمكن لهم فصله بين بعثة الرسول وقيام الساعة اللتين يرى ارتباطهما مباشرا ثم شكه في الآيتين الخاصتين بموت الرسول وأنهما من تأليف أبي بكر فإن هذا القول عار من الدليل العلمي الصحيح ، وبيان ذلك أن الرسول لو كان يعتقد أن الساعة ستقوم في زمانه وقبل وفاته لما تجشم الصعاب لبناء دولة عظيمة كان لها مكانتها في العالم، ولما أعد بلك التشريعات التي تنظم الأمور الدنيوية للمسلمين، ولما حث أصحابه وأمته على العمل والعبادة، ولما تنبأ لهم بالفتح المبين الذي سيحرزونه على الأمم المجاورة لهم، ولما حثهم على العمل في دنيا هم كأنهم سيعيشون أبدا.

ويضاف إلى ذلك أن "بلاشير" نفسه رفض رأي "كازانوفا" فيما يتعلق باعتقاد الرسول بقيام الساعة في حال حياته لعدم اعتماده على أدلة علمية وقوية من جهة، ولأن الرسول لما استقر بالمدينة أصبح يدعو إلى العبادات والمعاملات وتظيم العلاقات التي يجب أن تسود بين المسلمين وغيرهم من جهة أخرى، كما أن انتشار الإسلام في الجزيرة العربية فرض على المسلمين منذ عصر النبوة أن يفكروا في الحياة الدنيا إلى جانب التفكير في الآخرة. (64)

أما ما ذهب إليه "كازانوفا" في نسبة الآيتين إلى أبي بكر الذي أضافهما إلى القرآن على إثر موت النبي وإقرار المسلمين له على ذلك فهو قول مردود من عدة جهات، منها : أن الآية الأولى نزلت بسبب انهزام المسلمين يوم أحد. وظن أن الرسول قد قتل، فصاح بعض المسلمين: إن محمدا قد أصيب فيجيب عليهم الاستسلام لعدوهم لأنهم إخوانهم. وصاح بعضهم الآخر: أنه يجب الاستمرار في القتال حتى بعد وفاة النبي إذ لا خير في الحياة بعده، فأنزل الله هذه الآية. ومنها: أن الرسول بعد أن لحق بالرفيق الأعلى ارتج على المسلمين واضطربوا اضطرابا عظيما بين مصدق ومكذب، فبعضهم يقول : إنه أخذ ببعض ما كان يأخذ ببعض ما كان يأخذه عند الوحي، وبعضهم يقول : إن الرسول لا يموت حتى يقضي على المنافقين ولا يحدث حتى يقطع أيديهم وأرجلهم, وكان عمر بن الخطاب من أكثر المشككين في موت الرسول. وعند ما قدم أبوبكر و كشف عن وجه الرسول، وتحقق من موته جمع الناس وتلا عليهم الآية المذكورة فرجع الناس إلى رشدهم وعلق عمر على ذلك بقوله: "فلكأني لم أقرأها إلا يومئذ" (65) أما بالنسبة إلى الآية الثانية فقد نزلت بالمدينة، تعني إبلاغ النبي بأنه سيموت، وهو الآخر كما تموت بقية الخلق. لا تمييز في ذلك؛ لأن كل نفس ذائقة الموت وهو تحذير له من الآخرة، وحث له على العمل الصالح والتقوى خاصة أن الخطاب الذي يوجه إليه موجه إلى بقية المسلمين، إلا إذا كان من خصوصياته، وإبلاغه بموته حتى لا تختلف أمته بعد وفاته، كما اختلفت الأمم الأخرى في غيره قطعا لدابر الفتنة، والشك وقد أوشك حصول ذلك بعد وفاته لو لاتدخل أبي بكر بتلاوتها واحتجاجه بها على صحة وفاته. ولو كانت الآيتان السابقتان من اختراع أبي بكر فكيف يسكت المسلمون على ذلك؟ ويوافقونه على هذا التزوير المتعمد، وهم أشد خلق الله تمسكا بكتابه؟ ونحن نعلم جميعا ـ كما بيّنا ـ حرص أبي بكر على القرآن وعدم تبديل أو تعديل ما اتخذه الرسول من قرارات سياسية، أو دينية، أو اقتصادية، خشيته من القيام بعمل لم يأمر به الرسول وفزعه الشديد عند ما عرض عليه عمر جمع القرآن في مصحف واحد وإجابته له "أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إن قلت في القرآن برأيي"؟ (66) ثم يأتي بعد هذا كله ويضيف إلى القرآن ما ليس فيه؟!

ثالثا: الرد على شبهات "نولدكه" و"موير":

وأما ما ذهب إليه كل من "نولدكه" و"موير" من الشك في تربيب القرآن ومحاولتهما ترتيب القرآن تربيا موضوعيا أو تاريخيا ....." ونود الرد على شبهتهما بالإشارة إلى إجماع الأمة الإسلامية على أن ترتيب القرآن على هذا النمط الموجود في المصاحف كان بتوقيف من النبي عن الله تعالى، وأنه لا يجوز تغييره أو تبديله أو الاجتهاد فيه، وكان الرسول هو الذي رتب القرآن بالطريقة الموجودة لدينا الآن، واستدل المسلمون على ترتيب الرسول للقرآن بهذه الطريقة عليه السلام".... أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة ...." (67) ويضاف إلى ذلك أن القرآن هو فن من فنون القول لا علم للعرب به وهو معجز يتحدى العرب بالفن الذي لا يخضع لترتيب معين، والقرآن لو رتب ترتيبا تاريخيا أو موضوعيا لكان كتابا تاريخيا شأنه شأن بقية الكتب الأخرى، ولكنه كان كتابا كاملا وشاملا وأورد من الأحكام والتشريعات التي تكون صالحة لكل الأزمنة في كل الأمكنة وبالتالي فهو لا يحتاج إلى الترتيب الموضوعي، أو التاريخي الذي درجت عليه الكتب الأخرى.

رابعا : الرد على شبهات بعض المستشرقين أنه حصل في القرآن زيادة ونقصان إبان جمعه بنائا على أإنكار ابن مسعود للمعوذتين والفاتحة من القرآن الكريم، فنقول بأن الرأي المنسوب إلى ابن مسعود باطل من اساسه، وقد رفضه علماء المسلمين هذا الرأي رفضا قاطعا، يقول الإمام فخر الدين الرازي: "نقل في بعض الكتاب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن، وهو أمر في غاية الصعوبة لأنا إن قلنا : إن النقل المتواتر كا حاصلا في عصر الصحابة يكون ذلك من القرآن، فإنكاره يوجب الكفر. وإن قلنا: لم يكن حاصلا في ذلك الزمان فيلزم أن القرآن ليس بمتواتر في الأصل". ومن أجل ذلك يقول الفخر الرازي بأن نقل هذا المذهب عن ابن مسعود نقل باطل.(68) وكذلك يقول القاضي أبوبكر: إنه لم يصح عن ابن مسعود أن هذه السور ليست من القرآن. أما الإمام النووي فيقول في شرح المهذب: "أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد منها شيئا كفر، وما نقل عن ابن مسعود باطل ويقول ابن حزم في كتاب القدح المعلى تتميم المعلى: "هذا كذب على ابن مسعود وموضوع، وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زرعان وفيها المعوذتان والفاتحة" (69) ويقول الباقلاني:"أنه لو صح أن ابن مسعود كان أنكر السورتين على ما ادعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك، وكان يظهر وينتشر فقد تناظروا في أقل من هذا، وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل فكيف يجوز أن يقع فيه التخفيف؟، وقد علمنا أجماعهم على ما جمعوه في المصحف ، فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذة في الإجماع المقرر والاتفاق المعروف"(70) وهكذا يتضح لنا أن هذا الرأي

المزعوم لا يستحق الوقوف عنده أو الاهتمام به على النحو الذي يسلكه المستشرقون.

وأما غضب ابن مسعود ومعارضته لم تكن بسبب حصول تقصير في الجمع أو نقص وزيادة ـ كما تحدثنا عنها وإنما جاءت معارضته لعدم تعيينه مع أعضاء لجنة النسخ للمصاحف. وقد دافع أبو بكر الأنباري عن أختيار زيد بقوله: "ولم يكن الاختيار لزيد ... إلا لأن زيدا كان أحفظ للقرآن من عبد الله إذ وعاه كله ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حي، ولا ينبغي أن يظن جاهل أن في هذا طعنا على عبد الله بن مسعود؛ لأن زيدا إذا كان أحفظ للقرأن منه فليس ذلك موجبا لتقدمته عليه؛ لأن أبا بكر وعمر ــ رضي الله عنهما ــ كان زيد أحفظ منهما للقرآن، وليس هو خيرا منهما، ولا مساويا لهما في الفضائل والمناقب، وما بدأ عن عبد الله بن مسعود من نكير فشيء من نتيجة الغضب، ولا يعمل به ولا يؤخذ به ولا يشك في أنه ــ رضي الله عنه ــ قد عرف بعد زوال الغضب عنه حسن اختيار عثمان ومن معه من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ــ وبقي على موافقتهم وترك الخلاف لهم". (71) وأكد ذلك الذهبي فقال: "وقد ورد أن ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد". (72) وقال ابن كثير: "وإنما روي عن عبد الله بن مسعود شيء من الغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف إلى أن قال..." ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق ..." (73)

وأما إنكار نقل القرآن بالتواتر بناء على قول زيد بن ثابت: حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصارى..." فيكتب د. صبحي الصالح ردا على هذا الإشكال : ويزول الإشكال سريعا إذا علم القاريء أن غرض زيد أنه لم يجدها مكتوبة إلا مع أبي خزيمة، وقد كان ذلك كافيا لقبوله إياها؛ لأن كثيرا من الصحابة كانوا يحفظونها ولأن زيدا نفسه كان يحفظها ولكنه أراد ــ ورعا واحتياطا ــ أن يشفع الحفظ بالكتابة..."(74)

والخلاصة :

إنني في هذا المقال قد أوضحت مفصلا كيفية جمع القرآن الكريم وكتابته وتدوينه سواء ما كان محفوظا في الصدور أو ما كبته كتاب الوحي ، قيام الرسول بجمع هذا كله وعرضه على المسلمين قبل وفاته، ثم قيام أبي بكر الصديق بجمع القرآن نظرا لموت العديد من القراء في معارك الجهاد الإسلامي ، ثم قيام عثمان بتوحيد القرآن في مصحف واحد للقضاء على الاختلاف الذي حدث في قراءته، مع ردود علمية ومناقشة هادئة للشبهات والمطاعن التي أثيرت من قبل المستشرقين حول جمع القرآن وتدوينه، ووجدنا أن المستشرقين ــ كما هو دأبهم ــ يبحثون دائما عن الآراء المرجوحة والأسانيد الضعيفة ، ليبنوا عليها نظريات لا أساس لها من التاريخ الصحيح ولا من الواقع. وقد تبلور أمامنا بأن المسلمين قد سلكوا

المناهج العلمية الصارمة في جمع القرآن وتحقيقه وتمحيصه على أحدث ما وصل إليه البحث العلمي الصحيح، ونستنتج من ذلك كله صحة جمع القرآن وتدوينه ووصوله إلينا متواترا دون أدنى شك وريبة، ولم يحدث أن أصاب هذا القرآن أي تغيير أو تبديل أو تحريف على مدى تاريخه الطويل، هذه ميزة فريدة انفرد بها القرآن الكريم وحده من بين الكتب السماوية كلها مصداقا لقوله : "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (75)

المراجع:

1. د. القصبي محمود زلط، *مباحث في علوم القرآن*، (دبي : دار القلم، ط 2، 1987م) ص 107.
2. سورة القيامة: 16- 19.
3. مسلم بن الحجاج النيسابوري، *الجامع الصحيح*، (القاهرة : عيسى الحلبي، ط 1، 1955م) ج 1 ص 230-231
4. سورة الأنعام: 19.
5. محمد بن اسماعيل البخاري، *الجامع الصحيح*، (القاهرة: عيسى الحلبي، د.ت) ج4، ص 183
6. رواه مسلم، ج1، ص 546
7. الإمام أحمد بن حنبل، *مسند أحمد*، (القاهرة 1995م) ج6،ص 165
8. سورة النساء : 41.
9. رواه البخاري، ج6، ص 113
10. رواه مسلم، ج4 ص 1944
11. د. صبحي الصالح ، *مباحث في علوم القرآن*، (بيروت: دار العلم للملايين، ط17، 1998م) ص 65
12. د. فهد الرومي، *دراسات في علوم القرآن*، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 1، 1992م) ص 81 - 82
13. المرجع السابق، ص 83
14. انظر ابن القيم الجوزية، *زاد المعاد في هدي خير العباد*، (القاهرة: 1324هـ) ج1،ص 29
15. الحاكم النيسابوري المستدرك ، (حيدرآباد: طبعة 1336هـ) ج2 ص 229
16. المرجع السابق، ص 221

17. راجع : فهد الرومي، *دراسات في علوم القرآن* ، ص 85
18. رواه البخاري ، ج 6، ص 100و رواه مسلم ، ج1، ص 560
19. رواه مسلم ، ج 2، ص 1075
20. ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري* ، (القاهرة: المطبعة السلفية، 1380هـ) ج 9 ص 9
21. رواه البخاري ، ج 6، ص 98، باب جمع القرآن الكريم.
22. سورة الأعلى : 6-7
23. بدرالدين الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية،1957م) ج1 ،ص 238
24. جلال الدين السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، (القاهرة: مطبعة حجازي، ط3، 1941م) ج 1 ، ص 75.
25. بدر الدين الزركشي، *البرهان في علوم القرآن*، ج1، ص 235
26. محمد عبد العظيم الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، (القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، ط3، د.ت.) ج1، ص 241-242.
27. رواه البخاري في صحيحه، ج6، 98-99.
28. بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 237.
29. فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن،(بيروت: مؤسسة الرسالة 1990م) ص90
30. صحيح بخاري، ج6، ص 98-99
31. أبوداود السجستاني، *المصاحف*، (ليدن: 1938م) ص 11.
32. ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري* ، ج 9، ص 18.
33. رواه البخاري في صحيحه، ج6، ص 99. *الاتقان في علوم القرآن* للسيوطي. (القاهرة: مطبعة الحجازي، ط 3، 1941) ج1، ص 102
34. ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري* ، ج 9، ص 17.
35. انظر : د. صبحي الصالح، *مباحث في علوم القرآن* ص 79-80.
36. ابن جرير الطبري، *جامع البيان في تفسير القرآن* (القاهرة: 1903) ج1، ص 21.
37. ابن قيم الجوزية، *الطرق الحكمية في السياسة الشرعية*، (مصر: مطبعة الآداب1317هـ) ص16.

38. د. فهد رومي ، *دراسات في علوم القرآن*، ص99-100.
39. المرجع السابق، ص 101.
40. جلال الدين السيوطي ، *الاتقان في علوم القرآن* ج1، ص 60.
41. ابن أبي داود، *المصاحف*، ص 43.
42. ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري*، ج 9، ص 21.
43. النيسابوري، *غرائب القرآن*، ج1، ص 27.
44. ابن أبي داود، *المصاحف*، ص 19.
45. ابن حجر العسقلاني، *فتح الباري*،ج9، ص 18.
46. ابن أبي داود، *كتاب المصاحف*، ص 19.
47. المرجع السابق، ص 24-25.
48. المرجع السابق، ص 12.
49. د. ساسي سالم الحاج، *الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية*، (مالطا: مركز دراسات العالم الإسلامي، ط1، 1991م) ص 375.
50. المرجع السابق، ص355-376.
51. المرجع السابق، ص376.
52. سورة الرعد: 40.
53. د. التهامي النقرة، في مقالة "القرآن والمستشرقون" *مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية* ، (تونس: مطبعة المنظمة العربية، 1985م) ج 1، ص43.
54. سورة آل عمران : 144.
55. سورة الزمر: 30-31.
56. د. ساسي سالم الحاج، *الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية*، ص377-387.
57. المرجع السابق، ص378-379.
58. أحمد بن يحى البلاذري، *فتوح البلدان*، (القاهرة: تحقيق صلاح الدين المجد 1965م) ص 457.
59. محمد بن جرير الطبري، *تفسير الطبري*، (القاهرة: 1903م) ج7، ص 457.
60. سورة الأنعام: 93.

61. راجع د. ساسي سالم الحاج، *الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية*، ص 383.

62. عبد العظيم الزرقاني، *مناهل العرفان في علوم القرآن*، ج 1، ص 181 نقلا عن مجمع البيان للطبرسي.

63. جورجي زيدان، *تاريخ التمدن الإسلامي* الجزء الثالث، ص 61.

64. د. التهامي النقرة، *مناهج المستشرقين* ج1، ص 45، 1985م (المستشرقون والقرآن).

65. القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*،(بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1966م) ج4، ص 223.

66. د. ساسي سالم الحاج، *الظاهرة الاستشراقية وأثرها على الدراسات الإسلامية*، ص 384.

67. السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 104.

68. د. محمود حمدي زقزوق، *الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري* (الكويت: دار القلم، ط 1، 1404هـ) ص 92.

69. السيوطي، *الإتقان في علوم القرآن*، (طبعة الحلبي، 1951) ج1، ص 79.

70. الباقلاني ، *إعجاز القرآن*، (القاهرة : المطبعة السلفية، طبعة 1963م) ص 292.

71. القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن* ، ج1، ص 53.

72. شمس الدين الذهبي، *سير أعلام النبلاء* ، (بيروت : مؤسسة الرسالة، ط2، 1982م) ج1، ص 488.

73. ابن كثير ، فضائل القرآن، ص 20.

74. د. صبحي الصالح، *مباحث في علوم القرآن* ،ص 75.

75. سورة الحجر : 9.